

## المحاضرة الرابعة

### الصناعة المعجمية عند العرب 1

قبل الخوض في الصناعة المعجمية العربية وتاريخها، لا بد أن نفكر أولاً فيما إذا كانت هناك أمم قديمة سبقت العرب إلى هذا المجال، أم أن فضل السبق يعود إليهم؟ والواقع يثبت أن "هناك شعوباً قديمة جداً كانت لها أفكار ومناهج معجمية مختلفة، وكانت لها ظروفها الخاصة التي أوجبت إليها هذا النوع من النشاط اللغوي"<sup>1</sup>. الذي كان مرتبطاً في كثير من الأحيان بضرورة لغوية أو دينية عند هذه الأمم القديمة كالآشوريين والهنود واليونان والسريان وغيرهم، قصد تأمين نصوصهم المقدسة وحفظ لغتهم من الإندثار، وفيما يلي بيان لبعض جهودهم في هذا المجال قصد الكشف عن ملامح البناء المعجمي عندهم، وإجلاء أبرز محطات الصناعة المعجمية في تراثهم:

#### 1. الصناعة المعجمية عند الآشوريين:

عرف الآشوريون المعاجم قبل العرب بأكثر من ألف سنة، "فقد ابتكروا معاجم خاصة بلغتهم... التي خافوا عليها من الضياع، فصنّفوا معاجم دعّتهم إليها الضرورة عندما تركوا نظام الكتابة الرمزية القديمة، واستبدلوه بنظام الإشارات المقطعية أو الألفبائية ذات القيم الصوتية، ومع مرور الزمن غمض عليهم معرفة النظام الجديد، فجمعوا مسارد وعرفوها بطريقتهم القديمة، وأعانهم على ذلك أن لغتهم السومرية القديمة لم تكن قد انمّحت بعد، لأن الكهنة كانوا يستعملونها في شعائرهم الدينية وجمعوا ألفاظها في قوائم محفورة على قوالب الطين وأودعوها مكتبة آشوربانيبال الكبيرة التي كانت بقصر يونجيك في نينوى (668 . 625 ق م)، وقد وصل إليها الكشف العلمي فصارت مصدراً صحيحاً لتاريخ الآشوريين"<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> محمد علي عبد الكريم الرديني، المعجمات العربية دراسة منهجية، ص 18.

<sup>2</sup> أحمد عبد الغفور عطار، مقدمة الصحاح، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط3، 1984، ص 41.

## 2. الصناعة المعجمية عند الهنود:

بدأ التأليف المعجمي عند الهنود في شكل قوائم تضم الألفاظ الصعبة الموجودة في نصوصهم المقدسة<sup>1</sup>، على غرار كتب غريبي القرآن والحديث النبوي عند العرب، ثم تطور هذا النظام فألحق بكل لفظ في القائمة بشرح معناه، ويمكن أن يعتبر هذا العمل من نوع معاجم الموضوعات، ثم ظهرت كتب لا تختص فقط بألفاظ النصوص المقدسة، بل تحتوي أيضا مجالات أخرى.

وأقدم ما وصلنا منها معجم ظهر في القرن السادس الميلادي أو قبله، لمؤلف بوذي اسمه "أمار سنها Amar Sinha" وقد ضم معجمه جزءا في كلمات المترادفات، وجزءا في كلمات المشترك اللفظي، وجزءا في الكلمات غير المتصرفة، والكلمات المذكرة أو المؤنثة أو المحايدة، وقد صيغ هذا المعجم بشكل منظوم ليسهل حفظه، ولم يكن له أي ترتيب يتبعه<sup>2</sup>.

ويذكر الدكتور أحمد مختار عمر أنه في القرن الحادي عشر الميلادي ظهر عندهم معجم اتبع أنواعا من الترتيب، بحسب عدد المقاطع، ثم بحسب الجنس، ثم بحسب الحرف الأول.

والملاحظ أيضا أن الدافع الديني كان الأساس الأول للتأليف المعجمي، ثم تجاوزه العلماء إلى الدافع اللغوي عامة. ومن الإنصاف القول بأن القرن الثاني عشر الميلادي كان من أنشط الفترات بالنسبة للمعجم الهندي، علما أن العرب قد وضعوا بعض قواميسهم الرائعة في هذا القرن أيضا<sup>3</sup>.

## 3. الصناعة المعجمية عند الصينيين:

<sup>1</sup> أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب، عالم الكتب، ط 8، القاهرة، 2003، ص 60.

<sup>2</sup> نفسه، ص 61.

<sup>3</sup> جون هيوود، المعجمية العربية: نشأتها ومكانتها في تاريخ المعجمات العام، تر: عناد غزوان، منشورات المجمع العلمي، بغداد، العراق، د ط، 2004، ص 25.

لعل أول محاولة منظمة للتعريف بالأشكال التعبيرية " مما يمكن أن يدرج في إطار التأليف المعجمي . كانت العمل المسمى Eah ya الذي يمكن أن يؤرخ بالفترة ما بين (200 ق.م وميلاد المسيح)، وهو أشبه بمعجم من معاجم المعاني التي توزع الكلمات تحت موضوعات أو معان مختلفة. وهو في الحقيقة مفردات مصنفة، وكانت تلك الإشارات والكلمات مجموعة تحت ثلاثة عشر عنوانا: كالروابط الأسرية والأواني والطيور مثلا. ويذكر أيضا جون هيوود أن أقدم معجم في اللغة الصينية هو معجم "شو فين Show ven" لمؤلفه "هيوشن Hsushen" الذي يعود إلى نهاية القرن الأول الميلادي، ورغم كونه يشرح حوالي 10600 كلمة إلا أنه لم يكن مستفيضا في مجمله"<sup>1</sup>.

وبعد ذلك ظهر نظام جديد للمعاجم الصينية رتبت فيه الكلمات صوتيا، تبعا لنطقها، فكل الكلمات ذات الصوت الواحد تعالج في باب واحد، بغض النظر عن اختلاف طرق كتابتها، وأول معجم صيني يتبع هذا النظام هو معجم Hu Va Yen يقول عنه جون هيوود: "وبذلك ظهر قاموس من نوع جديد حيث رتب فيه الكلمات على وفق أصول النطق بالنسبة لأصواتها، فالكلمات ذات الصوت الواحد قد وضعت ضمن باب واحد دونما اعتبار لصيغ رسمها المختلفة، ولعل الجانب الصوتي في التأليف المعجمي الصيني يعود إلى تأثرهم بالدراسات الصوتية عند الهنود، ويبدو أن الصينيين مدينون جدا إلى أثر اللغة السنسكريتية الذي نقله الرهبان البوذيون، فمنهم تعلم الصينيون ترتيب الأصوات بالنسبة لأعضاء النطق المستعملة في نطقها... وهكذا وضعت قواميس كبيرة كانت قد تمت في الغالب برعاية ملوك الصين، وقد بلغت أوجها بقاموس "كانك هسي Kang Hsi" في سنة 1717"<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> جون هيوود ، المعجمية العربية ، ص21.

<sup>2</sup> نفسه، ص23.

#### 4. الصناعة المعجمية عند اليونان:

يعتبر العلماء القرون الأولى بعد الميلاد العصر الذهبي للمعاجم اليونانية، وخاصة في مدينة الاسكندرية وأكثر من وضعوا المعجمات من علماء جامعة الاسكندرية في عهد البطالسة وبعدهم، وكان بعض هذه المعاجم خاصا مقصورا على مفردات بعض الخطباء أو المفردات الواردة في كتب أفلاطون الفلسفية ، أو الخطباء... أو كتب أبقراط الطبية التي كانت من أهم مصادر الطب اليوناني. وأقدم المعجمات اليونانية القديمة معجم يوليوس بولكس Yulius Pollux المرتب على المعاني، ومعجم هلاديوس السكندري Heladius وكان قد ألف في القرن الرابع الميلادي وترتيبه ألفبائي<sup>1</sup>.

ويذكر أحمد مختار عمر في كتابه البحث اللغوي عند العرب "معجم أبي قراط Hippocrate الذي ألفه Glaucus عام 180 ق.م، وهو معجم ألفبائي. كما يذكره أيضا جون هيوود بمعجم Hippocrates lexeikon لمؤلفه كلوكس Clucus على اعتبار أنه أول قاموس يذكر مرتب على حروف الهجاء عند اليونان، ويرجع تاريخه إلى 180 ق.م وغيره كثير. ومما يجب الإشارة إليه في هذا الصدد ، أن هذه القواميس ليست كاملة، غير أنها صنفت لتشرح الكلمات النادرة، فضلا على أن التعريفات واستشهادات المؤلفين التي تضمنتها بقيت مقتضبة جدا، علما أنها دونت وفق النظام الأبجدي الحديث. فأول قاموس يوناني واسع الانتشار هو القاموس الذي وضعه (سوداس Suidas) في القرن العاشر الميلادي<sup>2</sup>.

#### 5. الصناعة المعجمية عند السريان:

احتك السريان باليونان منذ القدم ولعل سبب شهرة السريان هو نقلهم معارف الإغريق إلى العرب، حيث "كان المعجميون السريان يهدفون إلى شرح الألفاظ الدينية ولاسيما الألفاظ ذات الأصل الإغريقي... وكانوا على إطلاع باللغة العربية، إذ ظهر عدد من

<sup>1</sup> أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب، ص 65.64.

<sup>2</sup> جون هيوود ، المعجمية العربية ، ص 27 و 28.

مسارد الألفاظ السريانية والعربية، وقد استعملوا نظام التهجي الحديث منذ البداية، ويعد أبو زيد حنين بن إسحاق المتوفي سنة (873م). والمترجم المعروف للنصوص الإغريقية واضح أول قاموس باللغة السريانية لشرح ما فيها من ألفاظ إغريقية. وإن أشمل وأشهر قاموس سرياني هو القاموس الذي وضعه (برهلول Barbaahlul) في القرن العاشر، وقد وصف بأنه ضرب من دائرة المعارف... وفي القرن الحادي عشر ألف (إلياس بر شينايا Elias bar shinoya) مجموعة مفردات بالعربية والسريانية، وقد كان هذا العمل أساساً لمعجم (توماس النوقاري Thomas Nouvaria الموسوم بـ Thesaus Arabico-Syrolainus القاموس الموسوعي العربي السرياني اللاتيني) المطبوع عام 1636م<sup>1</sup>.

أما بالنسبة للصناعة المعجمية عند العرب فقد كان لظهور الرسائل اللغوية أثر كبير في ميلاد المعجم العربي، كما كانت نواة صلبة في صميم بنائه فيما بعد، وإليها كانت المرجعية الأولى في تدوين المعجم العربي.

والظاهر أن أصحاب هذه الرسائل الإفرادية ركزوا على جمع مفردات موضوعات معينة<sup>2</sup> مثل: كتاب المطر لأبي زيد الأنصاري، وكتاب الخيل للأصمعي...، ثم ما لبثت أن ظهرت عندهم معاجم الغريب التي اهتمت بجمع المفردات الصعبة والغريبة وشرحها وإن تعددت موضوعاتها، فكانت بذلك مرحلة لاحقة لمعاجم الموضوع الواحد، وسميت بمعاجم الموضوعات أو المعاني<sup>3</sup>.

وتوالى التأليف في هذا النوع من المعاجم، وتعددت موضوعاتها، حتى أدرك الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت175هـ) أنه لو ألفت مئات الكتب على هذا المنوال من الرسائل الموضوعية ما أمكن حصر جميع مفردات اللغة، وما سلمت المسألة من التكرار، وما أمنت اللغة من الضياع. وانشغل الخليل بهذه المشكلة حتى هداه فكره

<sup>1</sup> جون هيوود ، المعجمية العربية، ص211.

<sup>2</sup> ابن حويلي الأخضر ميدني، تاريخ المعجم العربي بين النشأة والتطور، دار هومة، الجزائر، ط1، 2009، ص46.

<sup>3</sup> محمود أحمد حسن المراغي، دراسات في المكتبة العربية وتدوين التراث، ص71.

الثاقب إلى اختراع نظام من شأنه أن يحصر جميع مفردات اللغة فلا تفوته وحدة منها، وفي الوقت ذاته ضمن له هذا النظام عدم تكرار أي مادة لغوية، فصاغ فكرته في كتاب واحد جامع للغة، مانع لتكرار وحداتها، شارح لمعانيها، أطلق عليه كتاب العين، وهو أول معجم لغوي لفظي في اللغة العربية، وإليه يعود الفضل في تطور الصناعة المعجمية العربية إلى يومنا هذا.

إلا أن المتأمل في المعاجم العربية التراثية يدرك أن منها ما أحسن الجمع وأهمل الوضع ومنها ما أحسن الوضع وأهمل الجمع، يقول ابن منظور: "فلم يفد حسن الجمع مع إساءة الوضع ولا نفعت إجادة الوضع مع رداءة الجمع"<sup>1</sup>، وهو هنا يشير إلى نوعين مختلفين من المعاجم العربية، وهما: معاجم الموضوعات التي اهتمت بالجمع وأهملت الترتيب، ومعاجم الألفاظ التي اهتمت بالمنهج والترتيب على حساب جمع المادة اللغوية.

### 1. معاجم الموضوعات (المعاني):

ويطلق عليها أيضا معاجم المفاهيم لأنها تعالج المجموعات المرتبطة من الكلمات التي تنتمي إلى مجال معين<sup>2</sup>، أي تقوم بتقديم الألفاظ المناسبة للمعاني التي تدور في أذهاننا ونريد لها ألفاظا دقيقة تعبر عنها وتستوعبها، ولا تؤدي إلى لبس أو غرابة فيما يراد التعبير عنه<sup>3</sup>، فهي تتجه في بنيتها التركيبية من المدلول إلى الدال<sup>4</sup>. وعادة ما يستهدف هذا النوع من المعاجم الأدباء والكتاب والشعراء، ممن يتقيدون بنمط معين في كتاباتهم، فيراعون الوزن والقافية ومواضع النبر والتنغيم ومختلف الظواهر الصوتية والدلالية والبلاغية وغيرها مما يسهم في تشكيل جرس النص وفي بناء معناه في آن معا.

<sup>1</sup> ابن منظور، لسان العرب، المقدمة.

<sup>2</sup> بتول عبد الكاظم الربيعي، المعجمية العربية في فكر علي القاسمي، ص46.

<sup>3</sup> محمود سليمان ياقوت، معاجم الموضوعات في ضوء علم اللغة الحديث، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 2002، ص15.

<sup>4</sup> العمري بن رابح بلاعة القلعي، الألفية في الدراسات المعجمية، دار الوعي، الجزائر، ط1، 2005، ص47.

ويمتاز هذا النوع من المعاجم بأنه غير مرتب صوتياً ولا ألفبائياً، وإنما تتوزع موضوعاته في شكل حقول معجمية متتابعة وفق تسلسل منطقي. وتتشرك في هذا النوع من المعاجم، المعاجم الموضوعية المتخصصة والمعاجم الموضوعية العامة.

### المعاجم الموضوعية المتخصصة

هي المعاجم التي تختص بمصطلحات علم معين أو مادة علمية واحدة، أو فرع من فروع المعرفة، لذا يسميه المحدثون بمعجم المصطلحات<sup>1</sup>، وكانت تتجلى في تلك الرسائل الموضوعية الصغيرة المتخصصة كما هو الحال في مؤلفات كل من خلف الأحمر (ت180هـ) في كتابه (جبال العرب)، والنضر بن شميل (ت204هـ) في كتاب (الخيال)، والأصمعي (ت216هـ) في (الإبل، الخيل، النساء، الوحوش، الفرق، خلق الإنسان، النبات والشجر)<sup>2</sup>.

### المعاجم الموضوعية العامة:

هي التي لا تختص بموضوع معين بل تتناول مفردات اللغة مرتبة حسب موضوعاتها العامة، ومن أشهر الأمثلة على هذا النوع نجد: (الغريب المصنف) لأبي عبيد القاسم بن سلام، (الألفاظ الكتابية) لعبد الرحمن الهمداني، (متخير الألفاظ) لابن فارس، (فقه اللغة وسر العربية) لأبي منصور الثعالبي، (المخصص في اللغة) لابن سيده، و(كفاية المتحفظ ونهاية المتلفظ) لابن الأجدابي<sup>3</sup>.

ويعد الغريب المصنف لأبي عبيد القاسم بن سلام (ت224هـ) أول معجم عربي مرتب حسب المعاني، مكث مؤلفه أربعين سنة في جمعه وتصنيفه، جمع فيه خمسة وعشرين موضوعاً، وسمى كل واحد منها كتاباً، ومن موضوعاته: كتاب خلق الإنسان، كتاب النساء، كتاب اللباس، كتاب الأطعمة، كتاب الأمراض، كتاب

<sup>1</sup> علي القاسمي، علم المصطلح أسسه النظرية وتطبيقاته العلمية، ص211.

<sup>2</sup> نفسه، ص211.

<sup>3</sup> سالم سليمان الخماس، المعجم وعلم الدلالة، 1428هـ، موقع لسان العرب، ص127. وحلمي خليل، مقدمة لدراسة التراث المعجمي العربي، دار المعرفة الجامعية، مصر، دط، 2003، ص107.

السلاح، كتاب الأواني، كتاب الشجر والنبات، كتاب الإبل، كتاب الغنم، كتاب الوحشي.

أما المخصص لابن سيده (ت458هـ) فيعد أضخم معجم في التراث العربي، وأشمل مصنف مرتب حسب المعاني والحقول، قسمه إلى تسعة عشر كتابا رئيسيا، وكل كتاب ينضوي على تقسيمات فرعية؛ ومن موضوعاته: الإنسان (صفاته، وأخلاقه وأمراضه...إلخ)، الحيوان (الخيول، الإبل، الغنم...إلخ)، السماء والمناخ (المطر، الشمس، النجوم...إلخ)، الأرض (النبات، الأشجار، الجبال...إلخ)، الماديات (المعادن، الأدوات، الملابس، الطعام...إلخ). أما المحور الأخير فكان في اللغة ففتح بابا لقوانينها الصرفية والنحوية<sup>1</sup>.

وبالنظر إلى نموذجي المعجمين السابقين ندرك أن ترتيب المواد اللغوية في معاجم المعاني قائم على نظرية الحقول الدلالية، حيث تقدم مادتها اللغوية حسب موضوعاتها، فتتوالى الموضوعات المتقاربة التي تنتمي إلى حقل واحد، وتترتب الحقول الدلالية في هذه المعاجم من العام إلى الخاص، أو من الكل إلى الجزء، أو من الأهم إلى الأقل أهمية، كأن ينطلق من عالم الإنسان إلى الحيوان إلى النبات، ثم إلى عالم الجماد.

إلا أن معاجم الموضوعات يقل الإقبال عليها والاهتمام بها، لأن كثيرا من الألفاظ تدل على معان كثيرة، والباحث لا يعرف في أي الأبواب ذكر مطلبه، والكثير من الصفات يشترك فيها الكائن الحي سواء أكان إنسانا أو حيوانا أو نباتا، مما يصعب على الباحث الحصول على مبتغاه<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> عبد الكريم مجاهد، مناهج التأليف المعجمي عند العرب، ص426.

<sup>2</sup> ابن سيده، المخصص، ج1، ص38.



